الأهرام

١٩٥٦/٨/٤

نية مبيتة

صار من المقطوع به ، بعد البيان الذي القاه مستر ايدن في مجلس العموم ، ان مصر ما كانت لتتسلم قناتها في السابع عشر من نوفمبر ١٩٦٨ على أعوث سويسل لو انها انتظرت لتسلمه ان يحل هذا التاريخ ، فان العقبات التي تثيرها اليوم بريطانيا وفرنسا في طريق استردادنا لقناتنا ، والضمانات التي تطلبانها لتسليمنا هذه القناة بالحسنى عقبات وضمانات مرجعها الى اسباب لا تتعلق بتأميم قناتنا بل الى اسباب تراها بريطانيا وفرنسا قاطعة الدلالة سواء لسلطة القناة بتأميمها او تسلمنا القناة لان اجل امتيازها قد انقضى . ويكفينا لتتبين هذه الحقيقة ان نتبين الاسباب التي يسوغ بها مستر ايدن ما اتخذ من التدابير العسكرية حرصا على حرية الملاحة عبر قناتنا .

اليك هذه الاسباب في مجملها :

تذهب مستر ايدن الى ان القلق الذي يبعثه تأميم القناة في بريطانيا وفرنسا منشؤه طابع خاص لهمتها . فان الحياة الصناعية في اوروبا الغربية مرهونة بحرية الملاحة عبر قناتنا ، ولا غرو فان سبعين مليونا من اطنان البترول تعبر قناتنا . ومن ثم لا يجوز ان يوكل مصيرها اليه الحياة الصناعية في اوروبا الغربية ، ناهيك بان شطرا كبيرا من تجارة اسيا الجنوبية الشرقية تعبر قناتنا . ومن ثم لا يجوز ان يوكل مصيرها الى ايدي دولة واحدة قد تستخدمها تحقيقا لاغراض وطنية

هذه الحجة التي تساق اليوم ماذا يمنع ان تساق بعد اثنتي عشرة سنة ؟ بل نراها خليقة بان تصبح بعد اثنتي عشرة سنة اقوى منها اليوم ، في نظر بريطانيا وفرنسا لان التجارة العالمية عبر قناتنا تنمو سنة بعد سنة وفقا لما تدل عليه الاحصاءات السنوية وتبعا لسنة طبيعية ، ولان مصر تصبح أصلب عودا واشد مراسا بعد اثنتي عشرة سنة تقضيها في عهد النهضة بفضل الثورة

وذهب مستر ايدن الى ان حرية الملاحة عبر القناة لا يقتصر ما يكفلها على الامتناع عن التدخل في شؤونها ، بل انها تستلزم كذلك القيام باعمال فنية عظيمة لا يضمن بذل الاموال الطائلة لتنفيذها ، لان حركة الملاحة تنمو بنسبة ٧٪ في السنة وقد ارصدت الشركة المنحلة عشرين مليونا من الجنيهات للقيام بهذه الاعمال وهي مع ذلك غير كافية . ويلمح مستر ايدن الى ان مصر لا يسعها تمويل البرنامج الذي وضعته الشركة المنحلة لتمكين القناة من الوفاء بالحاجات المقبلة ، ومن ثم يكون استئثار مصر بامر القناة معوقا لقناتها عن اداء رسالتها .

وما بنا لا نرى داعيا الى الجزم بان ما لا تستطيعه مصر اليوم ستستطيعه بعد اثنتي عشرة سنة وجب القول بان عقبة اليوم هي عقبة الغد فحجة بريطانيا وفرنسا قائمة في الغد كما هي قائمة اليوم

ذلك ما يتعلق بالجانب العملي من المسألة .

اما جانبها القانوني المتعلق بتفسير بريطانيا وفرنسا للاتفاق الدولي الذي عقد في ١٧ نوفمبر ١٨٦٦ وهو الجانب الخاص بدولية الملاحة وحريتها وامنها ، فظاهر كذلك انه تأتى من استدلال نظري قائم على تخريج النصوص فلا يتأثر بمرور الزمن ومن ثم يبقى هذا حقيقة في نظر من يراه اليوم حقيقة

فالخلاصة التي ينتهي اليها مستر ايدن بقوله ان اي حل للمسألة يجب ان يقوم على اساسين هما بقاء السلامة لحرية الملاحة وبقاء « الفاعلية » للوسائل الفنية ، خلاصة لا يغير من طبيعتها ولا يزيد او ينقص من قدرها ان تستخلص اليوم او تستخلص بعد اثنتي عشرة سنة ما دامت تستخلص من نصوص ثابتة ! بل قل انها خلاصة قد استخلصتها بريطانيا وفرنسا قبل اليوم وربما استخلصتاها منذ بدأنا استغلال القناة ولسنا ما يدعو من الريب ! فلانا نبيت الآية على التذرع بها بعد اثنتي عشرة السنة مالكان من امر التأميم الا انه اضطرهما الى التذرع بها قبل الوقت المحدد لها

وعلى هذه الخلاصة يرتب مستر ايدن اليوم ما كان ينوي ترتيبه بعد اثنتي عشرة سنة ، اي انشاء سلطة دولية تتولى امر قناتنا لان بقاء السلامة لحرية الملاحة وبقاء الفاعلية للوسائل الفنية لا تكفلهما الا سلطة دولية . سلطة دولية يسعى لانشائها المؤتمر الثلاثي الذي بحث مسألة القناة ، وهي اقل ما ترضى به الحكومة البريطانية !

اليس فيما انكشف من نيات بريطانيا وفرنسا مبرر جديد ، لما أعوزنا التبرير ، لما صحت عليه عزيمة الرئيس اذا صدر قرار التأميم ؟ ما دامت بريطانيا وفرنسا كانت تنويان مقاومتنا في استردادنا لقناتنا بعد اثنتي عشرة سنة نرى خيرا لنا ان نواجه منذ اليوم هذه الازمة . وان صدق ان النظر البلية شر من وقوعها صدق هذا الرأي عندنا اليوم بخاصة ويكفينا اطمئناننا الى انفسنا ونحن نواجهها ايمانا بحقنا وثقتنا بعدل قضيتنا فضلا عما اتخذه لها زعيم النهضة المصرية من تمام العدة .

بهذا الاطمئنان ، وبذلك الثقة وبهذا الايمان، نريد ان نتلقى دعوة الثلاثة الى المؤتمر المزمع عقده بعد ايام للنظر في مسألة القناة . اما تلبيتها فاقل ما يجب القول فيها ان المؤتمرات الدولية تتقارع فيها الحجج لاثبات الحق فيما يهدد الروح التشبيه الجائرة بهدد للمؤتمرات!

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية